الرجل المسلح بالكاميرا في غزة: من هو ياسر مرتجى؟

ترجمة وتحرير: نون بوست

ما بدأ كهواية بالنسبة لياسر مرتجى قاده إلى مسيرة مهنية محفوفة بالمخاطر. لطالما اضطلع خريج قسم المحاسبة، الذي تحول إلى صحفي فيديو، بتقديم نظرة ثاقبة داخل المنطقة التي تشوبها الصراعات وتتعرض للحصار منذ سنة 2007. ويعرف صاحب الثلاثين سنة بحمله الدائم للكاميرا أينما حل، فضلا عن الابتسامة العريضة التي لا تفارق محيّاه، وذلك في خضم سعيه المستمر لنشر قصص رفاقه الفلسطينيين الذين يعيشون في غزة، حيث جعل هذه المهنة هدفا له وكرس حياته لأجلها.

في الواقع، سبق لمراسلي موقع ميدل إيست مونيتور التحدث مع ياسر مرتجى حول غياهب سعيه الدؤوب وعمله كصحفي في غزة المحاصرة، وذلك قبل بضع أسابيع فقط من اغتياله على يد القناصين الإسرائيليين أثناء تغطيته للاحتجاجات الشعبية الفلسطينية بالقرب من الحدود الشرقية لقطاع غزة.

كان أول تفاعل لياسر مع الكاميرا عندما كان يبلغ من العمر 12 سنة بعد زيارة عمه لمنزل والديه. وفي هذا الصدد، قال الشاب الفلسطيني: "لقد كان عمي يصطحب معه آلة تصوير، فقمت باستعارتها ورحت ألتقط العديد من الصور بواسطتها". ومبهورا بشغف نجل شقيقه بالتصوير الفوتوغرافي، ارتأى العم منحه الكاميرا كهدية. واستطرد ياسر قائلا إنه "واصل تصوير أي شيء يعترض طريقه، فلم يسلم منزل والديه أو الحي الذي يقطنه أو كل ما يسترعي انتباهه من المناظر الطبيعية من عدسة الكاميرا الخاصة به". كما صرح الشاب الفلسطيني أنه أمسى غير قادر على ترك الكاميرا.

مع إحكام الحصار قبضته على غزة، شهدت المنطقة اهتماما متزايدا بمواقع التواصل الاجتماعي من خلال اعتمادها على نافذة للتفاعل والاتصال مع العالم الخارجي

ذات يوم، عندما كان في طريقه لتصوير مباراة للكرة الطائرة في الحي الذي يقطنه، تبادر إلى مسامعه صوت انفجار قريب، كان لغارة جوية إسرائيلية. وقد اتجه مسرعا صوب مكان الانفجار بغية توثيق عملية التفجير وتداعياتها على المكان. وفي حديثه عن ذلك اليوم، قال ياسر: "سقطت الكاميرا من بين يديّ أثناء قيامي بالتصوير ما أدى إلى تحطمها. ولحسن الحظ، تمكنت من انتشال بطاقة الذاكرة وحفظ

المادة المسجلة عليها".

في الحقيقة، أماطت هذه الحادثة اللثام عن المشاكل التي تتعلق بما سيصبح لاحقا العمل اليومي لياسر، حيث بادر بتلقين نفسه كيفية التصوير وإجراء التعديلات والتقاط صور بطريقة أكثر احترافية. وحول هذا الشأن، صرح الشاب الفلسطيني قائلا: "لقد اعتدت على تصوير رفاقي، وعلى القيام بالمونتاج وذلك لمشاهدتها رفقة أصدقائي والضحك سوية. وتجدر الإشارة إلى أنني أطلقت على هذه المقاطع اسم "شاهد وتذكر"".

مع إحكام الحصار قبضته على غزة، شهدت المنطقة اهتماما متزايدا بمواقع التواصل الاجتماعي من خلال اعتمادها على نافذة للتفاعل والاتصال مع العالم الخارجي. في هذا الصدد، ولأنه كان مأخوذا بالرغبة في تصوير واقع الحياة في غزة، انضم ياسر إلى جحافل المؤسسات ومجموعات الضغط الشبابية.

علاوة على ذلك، حازت صوره ومقاطع الفيديو التي كان يقوم بتصويرها على اهتمام العديد من الوفود الدولية ومن قوافل التضامن التي قدمت لزيارة غزة. وحول هذا الاهتمام المتزايد، أفاد ياسر أن أولى خطواته كانت تتمثل في إنتاج أفلام قصيرة عن واقع الحياة في غزة، وذلك بهدف تسليط الضوء على المشاكل التي يعاني منها القطاع، على غرار أزمة الكهرباء والبطالة وإغلاق الحدود.

عين ميديا: الشركة التي بدأت فيها أطوار الحكاية

سرعان ما أصبح قصّ مشاكل سكان قطاع غزة شغف ياسر الأول، بيد أنه لم يكن بمفرده، حيث شاركه صديقه رشدي سراج، الذي بدأ مسيرته هو الآخر كمصور هاو، هذا الشغف. وبتضافر الجهود، أسس ياسر شركة إعلامية أطلق عليها اسم "عين ميديا". وبدأ الشابان مسيرتهما مسلحين بآلتي التصوير اللتان يبلغ سعرهما 1500 دولار كانا قد اشترياها من مدخراتهما الخاصة. فضلا عن ذلك، بادر الشابان أيضا باقتناء حاسوب محمول لإنتاج الصور والأفلام القصيرة داخل غرفة قاما بتأجيرها مقابل التغطية الإعلامية.

في البداية، بدأ الرفيقان ياسر ورشدي بنشر الصور التي التقطاها على صفحتهما على موقع فيسبوك بهدف كشف النقاب عن المناطق المحاصرة التي اعتادت وسائل الإعلام تجاهلها. وتندرج المناظر الطبيعية والمعالم المميزة لهذه المناطق، فضلا عن الحياة اليومية في غزة ضمن لائحة اهتمامات الشابين الفلسطينيين.

الصحفي الفلسطيني ياسر مرتجى

على الرغم من شح الموارد وافتقارها للجانب التقني، تمكنت "عين ميديا" من أن تجد لنفسها موطأ قدم ضمن الشركات ذات السمعة الجيدة في وقت قياسي، وأصبحت تضم بين جدرانها 15 موظفا. وعلى خلفية هذا النمو، صرح ياسر سابقا إن جمع العتاد والأدوات التي احتاجوها كان أمرا صعبا للغاية بسبب القيود المفروضة على الحركة وعلى الواردات.

علاوة على ذلك، واصل ياسر حديثه بالقول إنه: "كان علينا أن نطلب من مراسل صحفي يعمل على نطاق عالمي، سبق لنا أن عملنا معه وكونا روابط صداقة معه، تمكيننا من الحصول على كاميرا حوامة". وتابع ياسر مرتجى حديثه قائلا إن "بعض الصحفيين الدوليين يحصلون على تصاريح خاصة لدخول غزة، فضلا عن حصولهم على المزيد من الامتيازات الأخرى".

في شأن ذي صلة، تحدث ياسر باعتزاز وقال: "كنا أحد أطقم الإنتاج الأولى التي تمتلك وتدير شركتها من داخل غزة. في بعض الأحيان، كنا نطلب من الأشخاص أن يمدونا بالمعدات دون اختبارها أو معرفة ما إذا كان أداؤها سيتماشى مع توقعاتنا، فقد اعتدنا دفع ثمنها وتمني حدوث الأفضل".

يمكن رؤية الصحفي الفلسطيني ياسر مرتجى رفقة طائرة حوامة

أطنب ياسر في الحديث عن بداياته مع "عين ميديا"، حيث صرّح أن كل شيء كان قائما على مبدأ التجربة والخطأ. فقد درب الموظفون أنفسهم حتى توصلوا إلى إنشاء محفظة من العملاء المهمين وباشروا بالعمل على إنتاجات كبيرة جذبت اهتمام وسائل الإعلام الدولية والكثير من جماعات حقوق الإنسان. ونتيجة لهذه المجهودات، استحقت "عين ميديا" إنتاج بعض الأعمال لفائدة قناة الجزيرة الوثائقية وشبكة بي بي سي عربي، فضلا عن شركة فايس للإعلام الرقمي وشبكة التلفزيون العربي، ومنظمة اليونيسف والأونروا ومنظمة أوكسفام والعديد من المؤسسات المرموقة الأخرى.

شاهد على الحرب

عندما شنت "إسرائيل" حربًا على غزة خلال سنة 2014، شرع ياسر بتوثيقها دون تكليف أو تعيين من أحد. وقد قال ياسر للموقع: "تحملت مهمة توثيق الحرب قبل بضعة أيام فقط من اندلاعها. لقد أردت أن أكون مع خطيبتي، ولكنني كنت أعلم أيضًا أنه كان علي أن أقوم بتوثيق ما كان يجري من أحداث".

وأضاف قائلا: "لقد رافقت أطقم سيارات الإسعاف والخدمة المدنية وصورت الكثير من المشاهد المؤلمة"، واصفًا تلك الحرب بأنها كانت الأكثر فظاعة من بين العمليات العسكرية الإسرائيلية الثلاث في غزة على مدى السنوات العشر الماضية.

عموما، زادت شهرة ياسر بعدما شارك في وثائقي الجزيرة "غزة: نجاة الشجاعية"، الذي صور فيه طفلة فلسطينية تم إخراجها من تحت أنقاض منزلها في حي الشجاعية. فقدت الطفلة، بيسان، معظم أفراد عائلتها في التفجير، وقد أقام ياسر، مع الطبيب الذي أنقذها، علاقة وثيقة لمساعدتها على تجاوز الصدمة.

الصحفي الفلسطيني ياسر مرتجي على اليسار، مع بيسان، الطفلة الفلسطينية التي فقدت معظم أفراد عائلتها بعد أن قصفت القوات الإسرائيلية منزلها.

أورد ياسر أن وجود الكاميرات غالبًا ما يعرض المنطقة للقصف. وأضاف قائلا: "لا تتوانى القوات الإسرائيلية عن استهداف الصحفيين، نظرا لأنهم يحافون من ظهور الحقيقة". علاوة على ذلك، أكد ياسر قائلا: "لقد بلغ بنا الأمر أن أنتجنا فيلمًا تحت عنوان "إسكات الصحافة" تحدثنا فيه عن الصحفيين الذين قتلوا أو جُرحوا على أيدي القوات الإسرائيلية أثناء قيامهم بعملهم". وقال ياسر إن "المسعفين في بعض الأحيان يرفضون السماح لهم بمرافقتهم، نظرا لأنهم يخشون من الخطر الذي قد يشكله وجود الكاميرا".

فضلا عن ذلك، نوه ياسر أنه "بغض النظر عن الخطر الذي يهدد حياتي، فإن توثيق الحرب يعد بمثابة حقل ألغام عاطفي وأخلاقي. لكنني أردت أن ألتقط الصور، إذ كان يجب عليّ أن أظهر ما خفي". وأضاف ياسر قائلا: "أردت أيضًا توثيق شجاعة المسعفين ورجال الإطفاء".

قبل أن يتمكن ياسر من تحقيق حلمه في الطيران ورؤية العالم، أطلق عليه قناص إسرائيلي النار في السادس من نيسان/ أبريل

أمل خالد

كان حلم ياسر، الزوج والأب لطفل، يتلخص في السفر ورؤية العالم. وفي حديثه للموقع، قال ياسر "أبلغ من العمر 30 عامًا لكنني لم أطأ أرضا خارج غزة ولم أذهب إلى أي مطار ولم أصعد على متن أية طائرة. لقد تلقينا عروضًا للعمل في الإمارات العربية المتحدة والخليج ولكن بسبب الحصار وإغلاق الحدود، لم نتمكن من الظفر بتلك الفرص".

تجدر الإشارة إلى أن غلق الحدود يعني أن ياسر وفريقه سيفقدون العديد من المنح الدراسية ما

سيحرمهم من المشاركة في العديد المهرجانات. وفي هذا السياق، قال ياسر "حاولت المغادرة مؤخرًا لكن تمّت إعادتي على حدود رفح، وعلى الرغم من ذلك لم أستسلم". ثم استشهد ياسر بمقولة لدرويش جاء فيها؛ "نحن الفلسطينيون نعاني من مرض عضال يسمى الأمل".

قبل أن يتمكن ياسر من تحقيق حلمه في الطيران ورؤية العالم، أطلق عليه قناص إسرائيلي النار في السادس من نيسان/ أبريل بينما كان يغطي "مسيرة العودة الكبرى" الفلسطينية التي تدعو إلى حق العودة ووضع حد للحصار.

رشدي سراج، المؤسس المشارك لعين ميديا وأحد أبرز المقربين من ياسر

صرّح رشدي سراج الشريك المؤسس لعين ميديا، للموقع قائلا: "لقد حملنا ياسر إلى المستشفى، حيث خضع لعمليتين جراحيتين، ولكن لم تلبث أن مرت اثنتي عشرة ساعة، حتى فارقنا". وقد وصف رشدي ياسر بأنه "صحفي محترف للغاية وإنسان طموح جدا يحمل روح المبادرة وشديد التعلّق بعمله". وأضاف رشدي قائلا إن الخبر كان بمثابة صدمة له ولزملائه، حيث أصابنا جميعًا حزن عميق لا يمكن وصفه. وفي هذا الصدد قال المخرج إبراهيم العطلة، أحد زملاء ياسر، "لقد فقدنا صديقًا، زميلاً وأخا".

الصحفي الفلسطيني ياسر مرتجى على اليسار، وزميله المخرج إبراهيم العطلة

تم الانتهاء من عرض ميدل إيست مونيتور لعمل يوم مقتله، ما دفع بزملائه في "عين ميديا" إلى إكمال استعراض أعمال ياسر تكريما له ولجميع الصحفيين الفلسطينيين الذين يخاطرون بحياتهم من أجل توثيق الحياة في ظل الاحتلال في غزة وبقية الأراضي الفلسطينية المحتلة.

في الأثناء، أفاد العطلة أنه "كان من المفترض أن نقوم بتصوير المشهد الأخير لمقطع الفيديو التكريمي يوم السبت، وهو اليوم الذي مات فيه ياسر. لقد تبين أن هذا المشهد كان مشهد وفاته". فضلا عن ذلك، صرّح رشدي أنه وفريقه مصممون على مواصلة مسيرة ياسر، خاصة وأن ياسر كان يسعى دائما لتوثيق كل شيء على أمل أن يستعيد الفلسطينيون في غزة يوما ما كامل حقوقهم ليعيشوا حياة كريمة". وقد أكد رشدي ذلك قائلا "سنحمل الشعلة ونواصل نشر رسالته".

بتسلّحه بكاميراته فقط، أصبح ياسر رمزا للشعب الفلسطيني الذي يدفع الأمل وأحلام الحرية والرغبة في الحصول على حياة أفضل.

المصدر: ميدل إيست مونيتور

رابط المقال: https://www.noonpost.com/22989/